

هل ترجم القسّ النصراوي إلياس مرمورة (١٨٨٧-١٩٤٧)  
التوراة السامرية إلى العربية؟

Did the Nazarene Pastor Eliās Marmūrah Render  
the Samaritan Pentateuch into Arabic?

ب. حسيب شحادة  
جامعة هلسنكي

يذكر البدوي المثلث (اسم مستعار ليعقوب حنّا العودات ١٩٠٩-١٩٧١) في مقاله الموسوم بـ "من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، عصام عاشور، القسّ إلياس مرمورة، رشاد بيبي"، الأديب ج. ٥ س. ٣١، مايو، ١٩٧٢، ص. ٣١-٣٥، بأنّ القسّ النصراوي إلياس مرمورة (١٨٨٧-١٩٤٧)، الذي عمل راعياً للطائفة الإنجيلية في نابلس مدّة خمسة عشر عاماً، كان قد نقل توراة السامريين إلى العربية (ص. ٣١) وفي الصفحة التالية ٣٢ ورد ما يلي:

"ومن الكتب التي خَلَّفها الفقيّد:

(١) السامريون: وهو كتاب طبع على مطابع دار الأيتام الإسلامية بالقدس ١٩٣٤.  
(٢) توراة الطائفة السامرية بالكتابة العربية (فقدت مخطوطة هذه الترجمة العربية من بيت الفقيّد في القدس بعد ان اغتصب العليج الصهيوني المدن والقرى العربية بفلسطين".

وهناك كتاب ثالث، أو بالأحرى كُتِب، لم يُذكر في المقال قيد البحث، جمعه وطبعه القسّ مرمورة وهو: ترانيم ميلادية رُتلت في كنيسة مار بولس ومدرسة صهيون الإنكليزية (مدرسة المطران كوبات) في القدس. مطبعة دار الأيتام السورية، ١٩٣٤؟، (هكذا ورد في كاتالوج مكتبة الجامعة العبرية) ٢٤ ص. والكتيب متوفّر في المكتبة الجامعية والوطنية في القدس الغربية. ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ يعقوب العودات قد أَلَّف كتاباً صحفياً بعنوان "من أعلام الفكر والأدب في فلسطين"، صدر في عمّان عام ١٩٧٦؛ ط. ٣، ١٩٩٢، القدس: دار الإسرائ.

إزاء هاتين المعلومتين يُطرح السؤال المتشعب التالي: هل القسّ إلياس مرمورة قد "نقل" بمعنى "ترجم" التوراة السامرية إلى العربية ومن أيّة لغة؟ أمّن الأصل العبري السامري أم من الترجمة الأرامية السامرية؟ وهذا في تقديرنا من المحتمل البعيد جداً، إذ أنّنا لم نجد أيّ دليل على ذلك، لا في ما توفّر لدينا من مصادرٍ أطلّعنا عليها في غضون عشرات السنين ابتداءً من عام ١٩٧١ لأبحاثنا في موضوع السامريين، سواء أكانت مكتوبة أم منقولة شفويًا. والجدير بالذكر ورود هذه الفقرة في المقال أنف الذكر في ص. ٣١:

"وفي الفترة الطويلة التي عاشها في نابلس (١٥ سنة) اتصل بكهان السامريين وتعلم لغتهم ونقل توراتهم الى العربية ووضع كتابا عن هذه الطائفة طبعه عام ١٩٣٤ وفيه تناول تاريخ السامريين واصولهم ... ما المقصود يا تُرى بـ "لغتهم" في هذا السياق، أهي عبرية التوراة أم آراميتها (الترجوم) وكتاهما غير محكيتين منذ قرون؟ أضف إلى ذلك أنّ مثل هذا العمل الضخم كان من المفروض أن يُحدث بعض "الضجة" والأصداء على الأقلّ آنذاك في الإعلام، ويتردّد صدها في التقاليد السامرية الشفوية على الأقلّ، ثم لماذا مثل هذه الترجمة، وقد ترجمت التوراة السامرية في القرون الوسطى، وثمة عشرات المخطوطات التي كانت متوفّرة في المكتبات ولدى السامريين في نابلس، ولكن بالحرف السامري عادة. أضف إلى ذلك، لا ذكر لمثل هذه التوراة في كتابه عن السامريين المشار إليه وإلى محتوياته لاحقاً. مثل غياب هذا الذكر، لا يعني بالضرورة عدم وجود مثل هذه الترجمة، فمن الممكن أن تكون الترجمة أو النقحرة قد أنجزت بعد طباعة ونشر الكتاب عن السامريين في عام ١٩٣٤.

من المحتمل القريب في تقديرنا، أن يكون القسّ إلياس مرمورة قد نَقَّرَ (نقل حروف) الترجمة العربية للتوراة السامرية من الرسم السامري إلى الأبتشية العربية. والسؤال يدور أيضًا حول ما خَلَفَ مرمورة من كتب أو من مخطوطات، أصدرت هذه الترجمة بشكل كتاب ومتى كان ذلك فلا ذكر لهذا، أم أنّها، على الأغلب، مخطوط، ولا ندري بالضبط من سرقتها من مكتبة منزل مرمورة في القدس في أعقاب حرب العام ١٩٤٨، مثلها مثل عدد كبير من المؤلفات العربية الفلسطينية، التي انتقل قسم كبير منها إلى المكتبة العبرية الوطنية والجامعية في القدس الغربية، إلا أنّ هذا المخطوط المذكور لا ذكر له في الكاتالوجات التي فحصتها حتى الآن ولا علم للقيمين على قسم المخطوطات وتصاويرها في المكتبة المذكورة، ومن المحتمل أن يكون المخطوط المذكور قد وقع في يد أحد المهتمين بجمع الكتب.

القسّ إلياس مرمورة وُلِدَ في الناصرة، تعلّم في مدرستها الابتدائية، أنهى دراسته الثانوية في مدرسة صهيون المقدسية الإنجليزية، انتسب لكلية الشبان، درس العربية على المعلم اللبناني المعروف نخلة جريس زريق (١٨٦١-١٩٢١)، وعلم في مدرسة صهيون. اختار مرمورة الخدمة الدينية في العام ١٩٠٨، فرُسم شماسًا فقسيًا في رام الله فنابلس فرام الله فبيت المقدس، وكان راعي كنيسة مار بولس الإنجليزية المقدسية في شارع أسباط إسرائيل في الأعوام ١٩٣٩-١٩٤٣ وتمّ تكريس هذه الكنيسة في ١ ك ١ سنة ١٨٧٤ في أحد الأدينت (مجيء المسيح) ورسم القسّ خليل الجمل (أنظر: تاريخ الناصرة من أقدم ازمانها الى أيامنا الحاضرة تأليف القسّ أسعد منصور، مؤسسة الهلال بمصر، ١٩٢٤، ص. ٢٠٠ ملحوظة ١ (الكتاب متوفّر على الشابكة). عانى القسّ مرمورة الأمرين من السلطات التركية في خلال الحرب الكونية الأولى فنفي مع عائلته إلى أدرنه بتركيا.

كان القسّ مرمورة متضلعًا من اللغة العربية المعيارية، وتشهد على ذلك خطبه الارتجالية وعظاته وشعره الرقيق. كان يدعو المسؤولين من رجال الدين إلى الاهتمام باللغة العربية، والحرص على تعلّمها، بل وفرضها مادّة إجبارية على طلاب اللاهوت في الامتحانات. وكان مرمورة قد أسّس مجلة "الأخبار الكنسية" سنة ١٩٢٦ في القدس، وصدرت مدّة أربعة عشر عامًا بدون انقطاع. وكان مرمورة قد انتُخب عام ١٩٣٤ رئيسًا للمجمع الوطني الكنسي في فلسطين والأردن، لغاية عام تقاعده بسبب إصابته بالمرض سنة ١٩٤٤. وفي عام ١٩٣٧ كان ممثلًا للكنيسة الإنجليزية الوطنية في احتفالات إقامة مطرانية القدس الإنجليكانية في لندن، وأطلع رجال الدين الإنجليز على القضية الفلسطينية، ملبيًا بذلك طلب المفتي الحاج محمد أمين الحسيني (١٨٩٥-١٩٧٤). وقام مرمورة برحلة إلى أدنبرة ممثلًا للكنيسة العربية الإنجليزية وأبلى هناك بلاء حسنًا لنصرة قضية وطنه.

من خصائص القسّ مرموره افتخاره الدائم بلغة الضاد وبمقاومته للحركة الصهيونية. يأتي اسم القسّ مرمورة في عداد مثل هذه الشخصيات العربية المسيحية، التي تنبّهت لخطر الحركة الصهيونية وقاومتها: نجيب عازوري، نجيب نصار، غريغوريوس حجار، عيسى العيسى، توفيق كنعان، عيسى البندك، القسّ حنا بحوث، سعيد عودة، شديد باز حدّاد، جورج حبش، وديع حدّاد إلخ.

بناء على المعلومات المتوفّرة لدينا، كان القسّ مرمورة قد خَلَفَ ما ذُكر آنفًا بخصوص التوراة السامرية وثانيًا: كتاب بعنوان: السامريون، والكتاب يتضمّن تاريخ السامريين واصلهم ومنشئهم واعيادهم ومقادسهم (هكذا في الأصل) وتوراتهم والفروق بينهم وبين اليهود وفيه لمح من تاريخ شكيم (نابلوس) والسامرة (سبسطية) وأثارهما. القدس: مطبعة دار الايتام السورية، يطلب من مكتبة فلسطين العلمية، القدس ومن المؤلف بالقدس، ١٩٣٤، ص. ١٠٠. نسخة من هذا الكتاب متوفّرة في المكتبة الوطنية والجامعية في القدس وفي مكتبة وزارة الخارجية الإسرائيلية ورقمه 55B 367 في الأولى و 0318 في الثانية (بحسب النسخة المصوّرة التي بحوزتي منذ بداية سبعينات القرن العشرين).

يشار أولاً إلى أنّ هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات، التي كان المؤلّف مرمورة، ينشرها تباعًا في مجلة

”الأخبار الكنسية“، وقد ساعده في كتابة بعض الفصول، كل من المطران نجيب أ. قبعين (مطران: ١٩٥٨-١٩٧٦) والكاهن الأكبر عمران بن إسحق، أبو سلوم (١٨٨٩-١٩٨٠، كاهن أكبر ١٩٦٠-١٩٨٠). يضم هذا الكتاب هذه العناوين: أصل السامريين ص. ٢-١٤؛ خلاصة تاريخ السامريين ص. ١٤-١٥؛ خلاصة قصة يوسف عن سنبلط وصهره منسى الكاهن ص. ١٦-٢٠؛ خراب اورشليم وشكيم ص. ٢٠-٢٦؛ السامريون تحت حكم المسلمين ص. ٢٦-٢٩؛ السامريون في الوطن وفي الهجرة (هكذا في الأصل) ص. ٢٩-٣٠؛ تواريخ السامريين ص. ٣١-٣٢؛ نبذة من سفر يشوع السامري بلغته الاصلية، نسخة الكتاب، خبر ما كان من نبيح وما اجراه، ص. ٣٢-٣٤؛ عاصمة السامريين، ص. ٣٥-٤٢؛ شكيم وضواحيها، ص. ٤٢-٤٤؛ عيبال ص. ٤٤-٤٥؛ بلوطة مورة، بئر يعقوب ص. ٤٦-٤٧؛ شكيم (سيكم) وسوخار ص. ٤٧-٤٩؛ بلاطة وآثارها، ص. ٤٩-٥١؛ عورتا ص. ٥١-٥٢؛ كفل حارس او كفر حارس ص. ٥٢-٥٣؛ اعياد السامريين ص. ٥٣-٥٤؛ ديانة السامريين ص. ٥٤-٥٧؛ التوراة السامرية ص. ٥٧-٦٢؛ ملحق ١، فصل من رحلة القس هنري موندل من حلب الى القدس في فصح ١٦٩٧. الاربعاء في ٢٤ اذار ص. ٦٢-٦٥؛ ملحق ٢، آثار مدينة السامرة ص. ٦٦-٧١؛ المدينة التي قبل عصر هيرودس ٧١-٧١-٧٢؛ المدينة الاسرائيلية ص. ٧٣؛ النقوش الاسرائيلية ص. ٧٤-٧٩؛ العاج في السامرة ص. ٨٠-٨٤؛ فهارس الكتاب وإصلاح خطأ ٨٥-١٠٠ (الكتاب متاح على الشابكة بالمجان).

قد لا نحيد عن جادة الصواب، إذا قلنا إن كتاب مرمورة حول السامريين، يُعتبر من بواكير الكتابات العربية في هذا المضمار، إن لم يكن الباكورة الأولى (أنظر: <http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=279573&r=0>). ويذكر القس مرمورة في الصفحة المرقمة الأولى، أنه لم يطالع في العربية شيئاً حول الطائفة السامرية، سوى مقال لرجي زيدان (١٨٦١-١٩١٤) وهو عبارة عن انطباعاته وما علمه عن السامريين من خلال زيارته لهم في نابلس عام ١٩١٣ برفقة مرمورة. ممّا يجدر ذكره أنّ الطائفة السامرية، عاشت في نابلس منذ القدم ولم تتركها على مرّ القرون، فجيل جريزيم في جنوب نابلس، هو أقدم مكان بالنسبة لها، وهو أحد أركان العقيدة السامرية الخمسة: إله واحد هو شيما أي الاسم؛ أسفار موسى الخمسة، التي تختلف عن التوراة اليهودية في ستة آلاف اختلاف بالتقريب والسامريون لا يؤمنون بغيرها [مرمورة يكتب في أسفل ص. ٥٨: ”والتوراة السامرية هي اليهودية نفسها لكنها تفترق عنها في بعض القراءات كما تختلف عنها في الحرف“، وهذا القول غير صائب، ويضيف في الصفحة التالية ”والتوراة السامرية محفوظة عند السامريين في خزانة حديدية في الكنيس في صندوق فضي مذهب ولقدمها قد رُفعت في اماكن كثيرة وهي مكتوبة على رق ويدعي السامريون انها من خط ابيشوع بن فينحاس بن هرون الكاهن ... في باب الخيمة على جبل جريزيم في السنة الثالثة عشر من حكم الاسرائيليين لارض كنعان ... وقد حاول الاربويون ان يبتاعوها من السامريين فرفضوا ذلك كما ان كثيرين حاولوا سرقتها“]؛ موسى كليم الله هو النبي الذي لا نبي مثله؛ مجيء التاهب أي المسيح العائد في عاقبة الأيام.

أقدم المؤلفات العربية التي تُعنى بالسامريين رأت النور بعد عام صدور باكورة القسّ إلياس مرمورة بثلاثة عقود فأكثر مثل ما أُلّفه التالية أسماؤهم: إياد البرغوثي وحسين أحمد شريف، سيد فرج راشد، أحمد حجازي السقا، محمد حافظ الشريدة وعمر عبد الخالق غوراني، عدنان حسين عياش، عبد المعين صدقة، إبراهيم الفني (مخطوط في مكتبة نابلس، ١٩٨٧)، إياد هشام محمود الصاحب، حسيب شحادة (أنظر: *A.B.-Samaritan News-Weekly*, (index to Issues no. 959-952, 11/4/2006, pp. 2-27. <http://shomron0.tripod.com/2014/septoct.pdf>).

وأخيراً نقتطف بعض الأبيات التي نظمها القسّ إلياس مرمورة الناصري وهي ضمن قصيدة يُحيي فيها مسقط رأسه الناصرة، في حين أن عشرات القصائد التي نظمها قد فقدت ”مع آثاره القلمية ورياش منزله“ (ص. ٣١ في العمود الأيسر من مقال الملثم أنف الذكر) وهذه القصيدة محفوظة في كتاب: تاريخ الناصرة للقسّ أسعد منصور المذكور آنفاً، ص. ٢٠-٢١، ومن شعراء تلك الحقبة إضافة لرمورة ننوه بجرجي عطية والشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني والشيخ أبو إقبال اليعقوبي وبشير ياغي.

تراحم سحب الجوفي طلب المجد	تراءت لنا من يزرعيل مدينة
أو الوشم في زند أو الشام في الخد	تلوح كوشي في مطارف غادة
على مرجها واليم والغور والنجد	وقد ركبت متن الجبال وأشرفت
محاسنها تبدو على القرب والبعد	مليكة حسن فوق عرش تربعت
إلى الكرملة اللاهي عن الجزر والمد	تشير إلى تابور طورا وتارة
وجلبوع* مشغوف بها فاقد الرشد	وترنو إلى حرمون تلهو بشييه
فلم يلق الا صارم الهجر والصد	ومصعر* قد ذاب التياعا وحرقة
كإشراق نجم الصبح أو مرهف الحد	ويبدو وميض من أعالي قصورها
بمن ذكره يربو على الطيب والند	لقد شرفت ذكرا بأشرف سيد
بأفواهنا أحلى من القطر والشهد	ومن فضله شمس ومن طيب اسمه
مآثره جلت عن الحصر والعد	هو السيد الأعلى يسوع بن مريم
بموت وبعث قاهر الموت واللحد	نصير النصارى الناصري صانع الفدا
على الخلق طراً واجب الشكر والحمد	مخلصنا فادي الأنام الذي له
شفاعته يوم القيامة والحشد	نلوذ به في كل خطب وترتجي
نشأت بها يا صادق الود والعهد	فكن حافظاً مولاي بلدتك التي
على عاديات الدهر الشر والصد	مجيراً لها من كل خطب وناصر

\*جلبوع ومصعر: جبلان يمر بينهما القطار من حيفا شرقاً بعد محطة العفولة جلبوع عن اليمين ومصعر عن الشمال.

وأخيراً يبقى السؤال: ما صلة القسيس إلياس مرمورة بالتوراة السامرية العربية، وأين المخطوط المترجم أو المنقحر أنف الذكر؟

ملحوظة: أشكر كل من يوافيني بآية معلومة موثقة حول الموضوع.

Haseeb.Shehadeh@Helsinki.Fi